خصائص

أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

للحافظ الحجة أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي

قدم له وخرج بعض حديثه

عبد الرحمن حسن محمود

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ف ٩١٨٦٧١
المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة ت ٩١٩٣٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

علي بن أبي طالب

• هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، أخو رسول الله ﷺ وابن عمه وناصره وأحد العشرة المبشرين بالجنة .

• ولد رضي الله عنه بمكة في البيت الحرام لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رجب ، قبل البعثة بعشر سنين أو بعد ثلاثين سنة من عام الفيل .

• أمه « فاطمة بنت أسد » أول هاشمية ولدت هاشمياً ، أسلمت بعد عشر من المسلمين ، فكانت الحادية عشر وهاجرت ، وماتت مسلمة ، وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويعظمها ويدعوها « أمي » ، وقد قال : لم يكن أحد بعد أمي أبر بي منها .

• أبوه أبو طالب لقب بذي الكفلين كفل النبي ﷺ بعد وفاة جده عبد المطلب ، ولرسول الله يومئذ ثمان سنين وشهران ، وقد كان أبو طالب الحصن المنيع الذي كف عن الرسول أذى المشركين في أول سني البعثة . وقد توفي قبل الهجرة بثلاث سنين وأربعة عشر يوماً .

• لما بلغ علي السادسة ، وكانت قريش قد أصابتها فاقة ، ضمه الرسول ﷺ إليه ورباه في حجره عرفاناً بالجميل لعمه أبي طالب ، فأدبه رسول الله ﷺ الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه .

• إسلامه : أسلم عليٌّ وهو بعد صبي ، وهكذا كرَّم الله وجهه لم يسجد لصنم قط . وفي سنه يوم إسلامه سبعة أقوال : أحدها خمس عشرة سنة أو ست عشرة سنة ، قاله الحسن ، والثاني أربع عشرة قاله مغيرة ، والثالث ثمان سنين ، رواه أبو الأسود عن بعض أشياخه ، والرابع خمس سنين . قاله ابن إسحاق ، والخامس تسع سنين ، قاله أبو نعيم الفضل ابن دكين ، والسادس ثلاث عشرة ، حكاه الفضل بن دكين عن أهل بيت علي ، والسابع : سبع سنين ، قاله أحمد بن عثمان بن أبي شيبة .

• شبَّ علي في حجر النبي وفي بيته ، وشاركه في أمره ، وآخى الرسول بينه وبين علي ، وقال له : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » .

ولما كانت ليلة الهجرة افتـــداه بنفسه ونام في سريره تمويهاً للمشركين الذين تربصوا به ليقتلوه .

• وقد شهد عليّ مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها إلا غزوة تبوك ، إذ خلّفه في أهله ، وقال له : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي » ، وقد اشتهر علي بالفروسية والقوة والإقدام ، وأبلى بلاءً حسناً في مواقع الإسلام ، وكان اللواء بيده في كثير منها ، فكان أول المبارزين في يوم بدر ، وممن ثبت يوم أحد وحنين ، وعلى يد علي فتحت خيبر بعد أن طال حصارها ،

ولاّه رسول الله ﷺ الإمارة قائلا : « سأعطى الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » فتطلع إليها الصحابة من أنصار ومهاجرين ، حتى قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « ما تمنيت الإمارة إلا ليلتئذ » .

• زوّجه رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء ابنته فى السنة الثانية من الهجرة ، ولم يتزوج عليها فى حياتها ، وقد ولدت له الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم رضى الله عنهم .

• قال رسول الله ﷺ فى الحسن والحسين : إنهم ولده وذريتــــه وتلك منقبة ما بعدها منقبة ، وإيثار ما بعده إيثار من الله سبحانه وتعـالى . قال رسول الله ﷺ : «كل بنى آدم ينتمون إلى عصبة ، إلا ولد فاطمة ، أنا وليهم ، وأنا عصبتهم [رواه الطـبرانى عن أبى هريرة] .

وقال ﷺ : « إن الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه ، وجعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب [رواه الطبرانى عن جابر ، والخطيب عن ابن عباس] .

• وقد كان علىّ آخر الناس عهداً برسـول الله ﷺ فى مرض موته وهو الذى ولى غُسْـله ونزل لحده فيمن نزل .

• فقد علىّ بفقد الرسول أخاه وأباه وأهله أجمعين ؛ فالمصاب أجلّ

من أن يحتمله به قلب رجل ، فلزم بيته حزناً على رسول الله ﷺ وزهد فى الدنيا زهداً على زهده ، وعكف على جمع القرآن .

• وفى هذه الأثناء كان المسلمون قد اتفقوا على بيعة أبى بكر لفضله ومنزلته من الرسول عليه الصلاة والسلام فتأخر على عن البيعة للزومه بيته وعزوفه عن الدنيا ، ولما أفاق من الصدمة خرج وبايعه عن طيب خاطر ورضا ، فتهامس المتهامسون من منافقين وضعاف قلوب أن علياً قد تأخر عن بيعة أبى بكر ناقماً عليه اغتصابه الخلافة منه ، وأنه لم يبايعه إلا مرغماً ، ولكن كذب المدعون ، فها هو ذا يدفع التهمة ويجلى الأمر قائلا لأبى عبيدة : « والله ما قعدت عن صاحبكم كارهاً له ، ولا أتيته فرقاً ، ولا أقول ما أقول تعلةً ، وإنى لأعرف منتهى طرفى ، ومحط قدمى ، ومنزع قوسى ، وموقع سهمى ، ولكن قد أزمت علىّ فأسى ثقة بربى فى الدنيا والآخرة » .

ويقول أيضاً : « إنى آليت بيمين حين قُبض رسول الله ﷺ ألاّ أرتدى بردائى إلا إلى الصلاة المكتوبة حتى أجمع القرآن ، فإنى خشيت أن ينفلت ، ثم خرج فبايعه . وكرّس علىّ قلبه وعقله ولسانه وسيفه فى خدمة الصديق دفاعاً عن الحق والإسلام سلماً وحرباً .

• ولما توفى أبو بكر وبويع عمر خرج علىّ وبايعه ، وكان له العون فى كل معضلة حتى إن عمر رضى الله عنه كان « يتعوّذ من معضلة ليس لها أبو حسنٍ » ، وحتى قال له : « أعوذ بالله أن أكون فى قوم لست فيهم » .

• ثم جاء عثمان ذو النورين رضى الله عنه بعد عمر ؛ فلم ينقم عليه علىّ ولم يستمع إلى مريدى الفتن والقلاقل الذين هيجوه عليه ، وكان على لعثمان العضد والسند والأخ والناصح الأمين ، يكف عنه الأذى ويشير عليه بالصواب جاهداً فى القضاء على الفتن .

• ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا ، استشرت الفتنة والثورة على سيدنا عثمان رضى الله عنه ، ونقم عليه البعض انحراف بعض ولاته من أقاربه . وظهر رأس الفتنة «عبد الله بن سبأ» يؤوّل القرآن والحديث على هواه ، ويحرض المسلمين على قتل عثمان ، ويبث الفرقة بينهم بآرائه الفاسدة .

• وجاء الثوار علياً فى بيته يعرضون عليه عزل عثمان وتوليته فأبى وغضب وطردهم ، ثم نصحهم وكفّ أذاهم عن ذى النورين .

• ولكن قضى الله — ولا راد لقضائه — أن يقتل عثمان على أيدى الثوار الآثمين وهو يقرأ فى كتاب الله .

• بويع على بالخلافة بعد مقتل عثمان ، وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وأيام ، قضاها فى كفاح مرير لجمع شمل المسلمين بعد أن فرّقتهم الفتنة وصيرتهم شيعاً وفرقاً ، وكان مقتل عثمان أحد أسباب هـــذه الفتنة إذ كان لمقتل الصحابى الجليل وقعاً أليماً فى نفوس المسلمين . واستغل الحاقدون والموتورون — ممن هزمهم الإسلام فأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر والحقد — هذه الحادثة

فى إشعال نار الفتنة مطالبين بدم عثمان ، واتهموا الإمام على بالتخاذل عن نصرته والتستر على قتلته .

• كل ذلك وعلىّ هو على الزاهد فى الدنيا الراغب عن الإمارة لولا أنه يرى أن المسلمين تكاد تطحنهم رحى الفتنة ، وقد انطلت عليهم مكائد الكائدين .

• جهد الإمام علىّ فى إعادة الفرق الثائرة إلى صوابها ، ولكنهم رفعوا السيف مطالبين بالثأر ؛ فبذل لهم علىّ النصح ، ولكن دون جدوى . وخرجت السيدة عائشة ، وهى أم المؤمنين ، لاستطلاع الأمر بعد أن استصرختها الفرق المتحاربة ؛ فلا هى راضية عن مقتل عثمان رضى الله عنه ، وهى تعلم قدره ومنزلته من الله ورسوله ، ولا هى مصدقة ما يقال فى على من تخاذله عن نصرته وسكوته عن قتلته ، وهى تعرف علياً ، وتعرف أنه أحبُّ الناس إلى زوجها رسول الله عليه الصلاة والسلام .

• وكانت وقعة الجمل : التقى فيها فريقا الإمام على والثوار ، وخشى الإمام علىّ على السيدة عائشة أن تهان أو يمس طرفها وسط الجموع الغاضبة فأحاطها بنفر من النساء وأعادها معززة مكرمة إلى دارها ، فعرفت له فضله ومدحته على صنيعه .

• وكانت بعد وقعة الجمل مواقع ومواقع ، قتل فيها خيرة الصحابة وأفاضلهم من الفريقين .

• حتى كانت الوقعة الفاصلة ، وقعة « صفين » ظهر فيها الإمام عليّ على جيش معاوية ، وكانت الحيلة المشهورة التى لجأ إليها المغلوبون برفع المصاحف على أسـنة الرماح وطلب التحكيم ، وكان أصحاب على بين قابل للتحكيم حقناً للدماء ، وبين رافض يريد أن يخمد الفتنة ويحسم الأمر . قبل الإمام على التحكيم على مضض ، نزولاً على رأى الأغلبية فازدادت الصفوف انقساماً ، وخرج عليه بعض أصحابه ، وانتهت مهزلة التحكيم بإعلان عزل على وتولية معاوية ؛ فازدادت الصفوف فرقة بين رافض وقابل .

• لم يلن الإمام على ولم يكل عن نصرة الحق ودحض الباطل ، وجهد فى القضاء على الفتنة والفئة الباغية حتى قُتل رضى الله عنه ليلة السابع عشرة من رمضان سنة أربعين من الهجرة فانهد بقتله ركن من أركان الإسلام .

قالت أم المؤمنين رضى الله عنها لما بلغها مقتله :

« لتصنع العرب بعد ما شاءت فليس لها أحد ينهاها » .

علي رضى الله عنه بين مبغضيه والمغالين فى حبه

إن الكلام عن الإمام عليّ لا ينتهى حتى تنتهى الدنيا ويفصل الله بينه وبين خصومه الذين أرادوا مدحه بما ليس فيه ، وهم : الزنادقة والحلولية ، وأصحاب الآراء الفاسدة الذين لا خلاق لهم ،والذين حاربوه خروجاً عليه : جاءوا من شتات العالم والأمم ليفسدوا ما أصلح هذا الدين .

واجهوه بمثل هذه الآراء فى حياته ، فواجههم بالسيف .

بلغ بهم الكفر أن ادعى قوم أنه الله ، أو أن الله حل فيه — تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وادعى آخرون أن النبوة كانت له .

وادعى غيرهم أن أبا بكر اغتصب منه الخلافة عدواناً وظلماً .

وادعى قوم أن السيدة عائشة رضى الله عنها حاربته وحرضت عليه .

والحق الذى لاشك فيه لمؤمن : أن هذا كلّه زيغ وزيف وباطل ، لا أصل له .

ومما علّمنا ديننا من آداب البحث ومنهجه : أن ما أتانا متواتراً ثبتاً عن ثبتٍ قبلناه على العين والرأس ، وبدون مناقشة ولا كلام ، وما أتانا عن غير الأثبات ، أو عن المجاهيل ومُنكـرِى

الأصول فرفوض كله جملة وتفصيلاً ، لأن ديننا المتين أخذناه كله بالسند الصحيح ، خالفاً ثبتاً عن سالفٍ ثبتٍ . وهذه نعمة كبرى نحمد الله عليها .

* * *

مَثل هؤلاء المدعين الأعلى : إبليس اللعين : لمّا غوى ، أراد أن يُغْوِيَ معه من بنى آدم ما استطاع ... وقد بلغوا دركة لم يبلغها إبليس اللعين بعد ... كيف وقد تمثلوا قول من قال :

وكنت فتىً من جنــــد إبليس فارتقى
بى الحال حتى صار إبليس من جندى

تولى كبر هذه الجرائم غلاة شيعة الإمام ومَرَدَتهم، والذين ادعوا أنهم محبوه ، وهم — والله — إنما أرادوا بذلك هدم الإسلام : ذلك الصرح الشامخ ، فبادوا جميعاً ، وبقى الإسلام كما هو : طوداً شامخاً عالياً ، لا تنال منه الأعاصير منالها . والحمد لله رب العالمين .

* * *

كيف ظهرت الفتن ؟

لما أباد الإسلام ملوك الفرس وقياصرة الروم ، وثل عروشهم وألقى بهم إلى حيث لقوا جزاءهم ، وخلّص الشعوب من ظلمهم وفسادهم وإفسادهم : لم يجد من تبقى من تلاميذ قصورهم ، ومن تربى على موائدهم إلا المكر والخديعة ، وإظهار الإسلام وإبطان الكفر ، فدس أمثال

عبد الله بن سبأ يهودى ادعى الإسلام] أنفه بين المسلمين ، وحاول بث الفرقة وضرب المسلمين بعضهم ببعض .

* * *

أما الفرس فإن منهم من قام بدور المصلح الذى أظهر الصلاح وأبطن الفساد إلى حين يأتى الدور الذى يمكنه فيه أن يفعل ما يريد ، ويأكل الجميع فى الوقت المناسب ، ولما نشب الخلاف بين الإمام على كرم الله وجهه ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، انتهزوها فرصة للقضاء على الإسلام بأيدى المسلمين ، فأذكوا نارها ، وأظهروا حبّ الإمام على ، ذلك الحب الغالى الذى أوجب لمرتكبيه الكب فى النار على المناخر ، نصحهم الإمام فلم ينتهوا فقتلهم تحريقاً بالنار براءة إلى الله مما أجرموا فى حقه].

ومنهم من أسلم عن عقيدة صحيحة وإيمان حق ، وهم الأكثرية والحمد لله رب العالمين .

وفى هذا الوقت جرت أقدار لسنا بصدد سردها الآن فى هذه العجالة .

* * *

ومن المألوف فى القصور أن يكون فيها أبناء الملق والنفاق ولاحسو البلاط بألسنهم إرضاءا لسادتهم وكبرائهم ، تأصل فيهم النفاق إلى الحد الذى أصبح معه معروفاً ومألوفاً . وما دمرت الممالك

والدول إلا عن طريق هؤلاء وأضرابهم ، حتى أن صاحب القصر نفسه كان يخاف على نفسه من مظهرى حبه ؛ فلما أطاح الإسلام بالجميع بقي فى نفوس هؤلاء طبيعة الشر التى تربوا عليها : « بغض الإسلام » لأن الإسلام نظيف يحب النظافة ويكره الرجس والنجس ؛ فأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر ، حتى إذا ما أطلّت الفتنة برأسها لم تفتهم الفرصة ، فقاموا بدورهم ، واتسع الخرق على الراقع ، إلى درجة أن من أظهروا نصرة الإمام على كرم الله وجهه قلبوا له ظهر المجنّ وحاربوه بدعوى أو بأخرى ، وشغلوا الدولة الكبرى وقتاً غير قصير كانت هى فى حاجة إليه لتطهير بقية العالم من رجس الوثنية ، وعبادة الملوك وأرباب السلطان .

ولكن شيئاً تما أراده الله ، ولا راد لقضائه وقدره .

ما هو التشيع الصحيح ومن هم الشيعة الحق :

التشيع ، هو الاتباع على النهج ، فشيعة الحق هم : أتباع الحق وشيعة الباطل هم : أشياع الباطل .

وفى القاموس : « وشيعة الرجل : أتباعه وأنصاره ... وقد غلب هذا الإسم على كل من تولى علياً وأهل بيته ، حتى صار اسماً لهم خاصاً » اهـ .

ها هو ذا القرآن يصف إبراهيم عليه السلام بأنه من شيعة نوح ، علماً بأن بين إبراهيم ونوح مئات السنين ، بل وربما آلاف ، فقال — وإن من شيعته لإبراهيم ، إذ جاء ربه بقلب سليم — فى قوله تعالى — بقلب

سليم — معنى التشيع الصحيح ، القائم على الدين ، والاتباع على القدم النظيف لا التلطيخ بالأقذار .

يقال : تشيع فلان لفلان : إذا اتبعه عن حب صادق صحيح وإخلاص فيه ، وسار على نهجه ومنواله .

إذن فالشيعى الحق لعلى بن أبى طالب ولآل البيت المطهر عامة ولأفاضل الصحابة هو : أنا وأنت ، أقصد : من حافظ على دينه ولم يُخدعُ بمظهر هؤلاء المخرّبين ، ولم يفرق بين أصحاب رسول الله ﷺ ويفاضل بينهم .

قيل لرسول الله ﷺ : من أحب الناس إليك ؟ قال : عائشة ، قيل من الرجال ؟ قال : أبوها .

ومن المعروف أن النبي ﷺ يقصد مَنْ عدَا أولاده وأهل بيته ، فإن أهل بيت الرجل أحب الناس إليه قاطبة ، وقد بينت هذا السيدة عائشة رضى الله عنها لما سئلت عن أحب الناس إلى رسول الله ﷺ ؛ فقالت : فاطمة ، فقيل : من الرجال ؟ قالت : زوجها .

إذا كنت تحب إنساناً خاصاً لخاصية فيه ، فلا تخترع له الأباطيل والأحاجى لتنصره ، فإن هذا هو الخذلان بعينه .

ومن المعروف — سلفاً — أن الإمام على غنى عن أباطيل وأحاجى من ادعوا حبه ، فإن المحب لمن يحب مطيع . وليس عندهم دليل صريح ولا صحيح على حبه رضى الله عنه وكرم الله وجهه ولا على اتباعه :

والدعاوى إن لم يقيموا عليها بيِّنات : أصحابها أدعياء

* * *

مثال من إفسادهم :

لقد أعطى رسول الله ﷺ على بن أبى طالب عمامة اسمها السحاب فكان إذا جاء لابساً إياها قال : « جاء على فى السحاب » فقلب غلاة الشيعة معنى هذا الحديث الصحيح ، فكانوا إذا مر الغمام قالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ؛ فإذا سألوهم عن ذلك قالوا : إن علياً يمر فى السحاب ، واحتجوا بهذا الحديث ، وبطبيعة الحال هذا أمر فاسد طبعاً وعقلا ونقلا . . . وكانت النهاية أن خرجوا على الإمام على نفسه فهجاهم إسحق بن سويد العدوى بقوله :

برئتُ من الخوارج لستُ منهم من الغزّالُ منهم وابن بابِ
ومن قوم إذا ذكروا عليا يردون السلام على السحاب
ولكنى أحب بكل قلبى وأعلم أن ذاك من الصواب
رسولَ الله والصديق حُبّاً به أرجو غداً حسن المآب

ومن الأمور التى أشاعوها ، ولا نزال نعانى منها حتى الآن : زَعْمُ أن بين الإمام على كرم الله وجهه وبين الصاحبين الجليلين [أبى بكر وعمر] وبينه وبين عثمان كراهة وحقدا .

والحق أن من اعتقد هذا زلّ وضلّ ، ووجب عليه الرجوع إلى

الحق وأن يراجع نفسه قبل أن يخاصمه الإمام على كرم الله وجهه أمام الله تعالى ، فمن الآن فليقلع ويتبع الحق وأهل السنة ، فإن الله سبحانه وتعالى اختار النبى ﷺ واختار له أصحاباً هم خيرة أهل الأرض . قال عليه الصلاة والسلام :

« إن الله اختارنى واختار لى أصحاباً » .

« أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

وحاشاهم جميعاً أن يكون فيهم حقد أو حسد أو غلّ .

إذا سألتهم عن هذه الدعوى الباطلة التى ادّعوها ، وكيف يكون هذا مع ما لهؤلاء الصحابة من السابقه والفضل ؟ قالوا : وهل خرجوا عن كونهم نوعاً من البشر ، إن العصمة لا تكون إلا لنبى ، وهم ليسوا بأنبياء ولا مرسلين ... ونسوا قول الله تبارك وتعالى — فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معـــه أولئك هم المفلحون(١) — والفلاح لا يكون أبداً لحاقد ولا حاسد .

وبمقارنة هذه الآية بقوله تعالى — فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم(٢) — نعرف أن المتبعين للرسول الكريم ﷺ لا أهواء لهم تخالف الله ورسوله ، أخلصهم الله له ولنبيه ﷺ ، سمعوا قول الله تعالى : — فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ،

---

(١) الآية : ١٧٥ من سورة الأعراف .

(٢) الآية : ٥٠ من سورة القصص .

ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما[١] — فسمعوا وأطاعوا ، وأحب بعضهم بعضاً على طريق الله ورسوله .

يقول الإمام القرافى[٢] :

« ... فنجد النبى عليه الصلاة والسلام أفضل الناس نشأة ، ومولداً ومزيَّةً ، وخَلْقاً ، وخُلُقاً ، وصدقاً ، وأدباً ، وأمانة ، وزهادة ، وإشفاقا ، ورفقاً ، وبعداً عن الدناءات والكذب والتمويه — الله أعلم حيث يجعل رسالاته[٣] — ثم أصحاب رسول الله ﷺ كانوا بحاراً فى العلوم على اختلاف أنواعها ، من : الشرعيات ، والعقليات ، والحسابيات ، والسياسات ، والعلوم الباطنة والظاهرة ، حتى يروى أن علياً رضى الله عنه جلس عند ابن عباس يتكلم فى الباء من بسم الله الرحمن الرحيم من العشاء إلى مطلع الفجر ، مع أنهم لم يدرسوا ورقة ، ولا قرءوا كتاباً ، ولا تفرغوا من الجهاد وقتل الأعداء ، ومع ذلك فإنهم كانوا على هذه الحالة ببركته ﷺ ، حتى قال بعض الأصوليين : لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزة إلا أصحابه لكفوه فى إثبات نبوته اه .

* * *

(١) الآية ٦٥ من سورة النساء .

(٢) فى كتابه « الفروق » ج ٤ ص ١٦٩

(٣) الأنعام الآية : ١٢٤ ، وفى قراءة حفص « رسالته » .

عفا الله عن المؤرخين :

أما المؤرخون فكثير منهم وقع فى شرك الشيطان وحبائله فأكثروا من الشنع والأباطيل والكذب وكثير منهم أنصف ولم يلوث قلبه بريبة ولا جارحة ، فعف وعافاه الله مما ابتلى به غيره .

* * *

ومن أكبر شنعهم وأباطيلهم وأشنعها : اتهامهم أم المؤمنين — البارة التقية النقية التى برأها الله من فوق سبع سموات — بأنها حرّضت على حرب على كرم الله وجهه ، وحاشاها أن تفعل ذلك مع ما تعلم للإمام من صلة برسول الله ﷺ ، وتعلم أنه أحب الناس إليه ، وأنه لم يُدَنَّسْ بريبة ، ولا قصد منكراً ، ولا همّ به .

إنها فرية ما بعدها فرية ، سنقدم الدليل الصادق على بطلانها وأنها من الأحاجى التى فرضوها على التاريخ .

* * *

لنتأملها وهى تدافع عن نفسها بأسلوبها الخاص فى خطاب لها أرسلته لأم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها ، بعد أن أرسلت لها أم سلمة خطاباً تطلب فيه ألاّ تخرج إلى معركة الجمل [وقعة كانت بين على بن أبى طالب وفريق من المسلمين اتهموه بالتخاذل عن نصرة عثمان رضى الله عنه] فتقول :

« من عائشة أم المؤمنين إلى أم سلمة :

سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ... أما بعد : فما أقبلنى لوعظك ، وأعرفنى لحق نصحك ، وما أنا بعمية عن رأيك ، وليس مسيرى على ما تظنين ، ولنعم المسير مسير فزعت إلىّ فيه فئتان من المسلمين ، فإن أقعد فنى غير حرج ، وإن أمض فإلى مالا بد لى من الازدياد منه والسلام » (١) .

إذن فهى لم تخرج إلا لأن فئتين من المسلمين طلبتا منها التحكيم ...

وتقول أيضاً يوم رحيلها من وقعة الجمل :

« إنه – والله – ما كان بينى وبين على فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، وإنه عندى – على معتبتى – لمن الأخيار » (٢) .

* * *

ومن الدلائل الواضحة التى لا تقبل الشك أبداً خطبتها يوم وقعة الجمل :

« أيها الناس صهٍ ، صهٍ ، إن لى عليكم حق الأمومة ، وحرمة الموعظة ، لا يتهمنى إلا من عصى ربه ، مات رسول الله ﷺ بين سَحْرى ونَحْرى (٣) فأنا إحدى نسائه فى الجنة ، له ادخرنى ربى ، وخلّصنى

---

(١) رسائل العرب للأستاذ أحمد زكى صفوت رحمه الله .

(٢) زعماء الإسلام دكتور حسن إبراهيم .

(٣) السحر : الرئة ، والنحر : موضع القلادة من الصدر .

من كل بضاعة ، وبى ميز منافقكم من مؤمنكم ، وبى أرخص الله لكم فى صعيد الأبواء (١) ثم أبى ثانى اثنين الله ثالثهما ، وأول من سمى صديقاً ، مضى رسول الله ﷺ راضياً عنه ، وطوّقه أعباء الإمامة ، ثم اضطرب حبل الدين بعده ، فسك أبى بطرفيه ، ورتق لكم فتق النفاق ، وأغاض نبع الردة ، وأبطل ما حشّ يهود ، وأنتم يومئذ جُحّظ العيون ، تنظرون الغدرة ، وتسمعون الصيحة ، فرأب الثأى ، وأود من الغلظة ، وانتاش من الهوّة ، واجتحى دفين الداء حتى أعطن الوارد ، وأورد الصادر وعلّ الناهل ، فقبضه الله إليه واطئاً على هامات النفاق ، مُذكياً نار الحرب المشركين ، فانتظمت طاعتكم بحبله ، فولّى أمركم رجلا مُرْعياً إذا ركن إليه ، بعيد ما بين اللابتين ، عُرَكة للأذاة بجنبه ، صفوحاً عن أذاة الجاهلين ، يقظان الليل فى نصرة الإسلام ، فسلك مسلك السابقة ، ففرق شمل الفتنة ، وجمع أعضاد ما جمع القرآن ، وأنا نُصْبُ المسألة عن مسيرى هذا ، لم ألتمس إثماً ، ولم أونس فتنة أوطئكموها .

أقول قولى هذا صدقاً وعدلاً ، وإعذاراً وإنذاراً ، وأسأل الله أن يصلى على محمد ، وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين (٢) » .

* * *

(١) تريد ما رخص للمسلمين ببركتها فى التيمم ، إذ لم يجدوا ماء الصلاة .

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٦ — ٢٣٦ .

ومن العجب العاجب أن نرى ونسمع ممن فرضوا أنفسهم على التاريخ ودسوا أنوفهم بين الناس : يستدلون فى مثل هذه القضايا الشائكة بآراء مغرضة .

لماذا نرد قولها ونسمع كذب الكذابين وخَرْصَ الخراصين ، وأصحاب الضغائن والأحقاد ؟

* * *

ومن التفاهات والترهات المرذولة : اتهامهم للإمام على كرم الله وجهه بأنه تأخر عن بيعة أبى بكر رضى الله عنه ، وقالوا إنه الأولى بالخلافة وإن أبا بكر اغتصبها منه .

والواقع أنه إنما قعد فى بيته لأمر جلل عنده ، هو أهم من أمر الخلافة ، فإنه فقد أخاه وأباه وأهله أجمعين بفقد رسول الله ﷺ ، لأن المصيبة كانت أعظم مما يتصوره إنسان ، وأمر آخر لم يفته هو : جمع القرآن الكريم ... وهاهو الآخر يدافع عن نفسه رضى الله عنه فيقول لأبى عبيدة رضى الله عنه :

« ما قعدت عن صاحبكم كارهاً له ، ولا أتيته فَرَقاً ، ولا أقول تعِلَّةً ، وإنى لأعرف منتهى طَرْفى ، ومحطّ قدمى ، ومنزع قوسى ، وموقع سهمى ، ولكن قد أزّمتْ علىّ فأسى ثقة بربى فى الدنيا والآخرة (١) » .

---

(١) زعماء الإسلام د . حسن إبراهيم طبع الآداب بالقاهرة ص ٦١

ويقول أيضاً :

« إني آليت بيمين حين قبض رسول الله ﷺ ألا أرتدى بردائى إلا إلى الصلاة المكتوبة حتى أجمع القرآن ، فإني خشيت أن ينفلت ، ثم خرج فبايعه »[١] .

* * *

لى فيك رجاء أيها القارىء المسلم : أن تشم رائحة الكلام الذى رثى به رسولَ الله ﷺ ، وتذوق معى الطعم ، ثم أحكم بَعْـدُ :

« بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء : خَصَصْتَ حتى صِرتَ مُسْلِياً عمَّنْ سواك ، وعَمَمْتَ حتى صار الناس فيك سواء ، ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفدنا ماء الشئون ، ولكان ما لا يُملَكُ ردّه ، ولا يستطاع دفعه ، بأبى أنت وأمى ، أذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك[٢] » .

* * *

وهكذا يقرأون هذا الكلام ويسمعونه ، ثم يصمون أسماعهم عنه إلى سماع هراء ولحن فاحش غليظ يذيعونه على مرأى ومسمع من المسلمين وعلمائهم ، ولا يحرك ذلك منهم عرقاً دفاعاً وحمية عن دين الحق ونبيه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب فى ترجمة الإمام على .

(٢) زعماء الإسلام . د حسن إبراهيم .

ترى عينى من لا أود لقاءه وتسمع أذنى ما أعاف من اللحن

وحسب أمثالى أن يؤمنوا بالله ورسوله وأحباب رسوله . ونرجو الله أن يحشرنا معهم ، فالمرء يحشر مع من أحب وإن لم يعمل بعملهم . ونسأل الله حسن الخاتمة .

ولكأنى أنظر إليهم يوم القيامة يسوقهم الإمام جميعاً : المبغضين والمُفْرِطينَ فى الحب الكاذب بعصاه إلى النار سوْق العبيد المجرمين .

كيف لا وقد قال فيهم رسول الله ﷺ له — أى لعلى رضى الله عنه — « فيك مثل من عيسى عليه السلام : أبغضته يهود حتى بهتوا أمه ، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التى ليس بها [1] » .

وقد قال رضى الله عنه : « ليحبنى أقوام حتى يدخلوا النار فى حبي ، ويُبغضنى أقوام حتى يدخلوا النار فى بغضى » [2] .

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده .

(٢) أخرجه أحمد فى المناقب عنه .

نبذة عن حياته كرم الله وجهه ورضى عنه

سنورد لك أيها القارىء المحافظ على دينه نبذاً صحيحة وطيبة مباركة عن سيدنا على كرم الله وجهه من الحديث الصحيح المتواتر الذى لا مطعن فيه أبداً والحمد لله رب العالمين ، يتبين لك منه إلى أى حد بلغ بالمغالين الضلال والبهتان والافتراء على الله ورسوله وأحب أحبابه ﷺ إن فى ذلك لذكرى لمن له قلب .

يقول رسول الله ﷺ :

« من أحب علياً فقد أحبنى ، ومن أبغض علياً فقد أبغضنى ، ومن آذى علياً فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله تعالى(١) » .

عن ابن عباس قال : « بعثنى رسول الله ﷺ إلى على بن أبى طالب فقال له : أنت سيد فى الدنيا وسيد فى الآخرة ، من أحبك فقد أحبنى ، وحبيبك حبيب الله ، وعدوك عدوى ، وعدوى عدو الله ، والويل لمن أبغضك (٢) » .

سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها : أى الناس أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت : فاطمة ، فقيل : من الرجال ؟ قالت : زوجها ، إن كان ما علمت صواماً قواماً (٣) »

---

(١) أخرجه ابن عبد البر . (٢) أخرجه أحمد فى المناقب .

(٣) رواه الترمذى عن عائشة رضى الله عنها .

وعنها وقد ذكر عندها علي رضي الله عنه ، فقالت : ما رأيت رجلاً كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ منه ، ولا امرأة أحب إلى رسول الله ﷺ من امرأته (١) .

وقالت أيضاً : « من أفتاكم بصوم عاشوراء ؟ قالوا : عليّ ، قالت : أما إنه أعلم بالسنة (٢) » .

قال عمر بن الخطاب في النفر الستة الذين جعل فيهم الخلافة :

« إن ولّوها الأصلع (الإمام علي) كيف يحملهم على الحق ، ولو كان السيف على عنقه ، فقال عبد الله بن عمر : أتعلم ذلك منه ولا توليه؟ قال : إن لم أستخلف فأتركهم فقد تركهم من هو خير مني (٣) » .

وقال أيضاً في عدم تعيينه خليفة بعده : « لا أتحملها حياً وميتاً » .

وكان يقول : « ليتني أخرج من الدنيا لا عليّ ولا لي » .

[رحم الله أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه : ماكان أعلمه بحمل خلافة المسلمين . . . نعم : إنه حمل ثقيل] .

ولما بويع عثمان رضي الله عنه بايعه علي وبذل له العون والنصح .

كان أكبر رجال الفتيا بعد النبي ﷺ ، حتى قال فيه عمر رضي الله عنه كلمته المشهورة : أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن . وكان يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن .

---

(١) أخرجه المخلص والحافظ الدمشقي .

(٢) رواه ابن عبد البر بإسناده عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) يريد رسول الله ﷺ .

اتفق أهل السنة جميعاً على أن الحق مع على كرم الله وجهه ، وخصوصا بعد أن قُتل عمار بن ياسر رضي الله عنه ، فإن رسول الله ﷺ قال فى عمار : « تقتله الفئة الباغية » فتأكدوا أن البغى فى خصوم على كرم الله وجهه .

لبس ثوب النبي ﷺ ، ونام مكانه ليلة الهجرة المباركة الشريفة .

كان ابن عباس يقول : إذا جاءنا الثبت عن على لم نعدل به .

كان يقول : سلونى سلونى ، وسلونى عن كتاب الله تعالى ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار ، أم فى سهل أم فى جبل .

قال النبي ﷺ : « إن تؤمّروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة ، وإن تؤمروا عمر تجدوه قويا أميناً ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، وإن تؤمروا علياً — وما أُراكم فاعلين — تجدوه هادياً مهدياً ، يأخذ بكم الطريق المستقيم »(١) .

يقول الإمام على كرم الله وجهه : « كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أعطانى ، وإذا سَكتُّ ابتدأنى » .

قال معاوية ابن أبى سفيان لضرار الصدائى : صف لى علياً ، قال : أعفنى يا أمير المؤمنين ، قال : لتصفنه ، قال : أمّا إذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، ويستوحش

---

(١) رواه الإمام أحمد .

من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان — والله — غزير العَبْرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ماخشن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبؤنا إذا استنبأناه ونحن — والله — مع تقريبه إيانا وقربه منا ، لانكاد نكلمه هيبة له : يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غرى غيرى : إلىّ تعرضتِ أم إلىّ تشوقت ، هيهات هيهات : لقد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك حقير ، آه من قلة الزاد ووحشة الطريق » .

فبكى معاوية وقال : رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح ولدها فى حجرها ... (١)

كان معاوية يكتب فيما ينزل به إلى علىّ يستفتيه فيه ، فلما بلغه قتله قال : ذهب الفقه والعلم بموت على بن أبى طالب ، فقال له أخوه عتبة : لا يسمع منك أهل الشام ، فقال : دعنى عنك .

قال أبو حيان التيمى عن أبيه قال : رأيت علىّ بن أبى طالب ، وهو أمير المؤمنين وبيده خزائن الدولة ، يقول : من يشترى منى

(١) ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب .

سيفى هذا ، فلو كان عندى ثمن إزار ما بعته . فقام رجل فقال نسلفك ثمن إزار ، قال عبد الرزاق راوى الحديث : وكانت بيده الدنيا كلها إلا ما كان من أمر الشام (١) .

قال الإمام على كرم الله وجهه : قال رسول الله ﷺ : رحم الله أبا بكر : زوجنى ابنته ، وحملنى إلى دار الهجرة ، وأعتق بلالاً من ماله . . . رحم الله عمر : يقول الحق وإن كان مراً : تركه الحق وماله صديق . . . رحم الله عثمان : تستحييه الملائكة . . . رحم الله علياً : اللهم أدر الحق معه حيث دار » (٢) .

كان النبى ﷺ يقول : « لا يحب عليا منافق ، ولا يبغضه مؤمن » .

لما بويع أبو بكر جاء أبو سفيان إلى على رضى الله عنه فقال : غلبكم على هذا الأمر أرذل بيت فى قريش : أما والله لأملأنها خيلا ورجالاً ، فقال له على كرم الله وجهه : ما زلت عدواً للإسلام وأهله ، فما ضر ذلك الإسلام وأهله شيئاً ، وإنا رأينا أبا بكر لها أهلا (٣) .

قال عمر بن الخطاب لأذينة بن مسلمة ــ وقد أتاه يسأله : من أين يعتمر ؟ فقال : « ائت علياً فاسأله . . . » الحديث ، وفيه : « لا أجد لك إلا ما قال على » .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق عن أبى حيان التيمى .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه عبد الرزاق .

سأل شريح بن هانىء أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق عن مسح الخفين ؟ فقالت : « ائت علياً فاسأله » .

قالت أم المؤمنين رضى الله عنها لما بلغها قتل على : « لتصنع العرب ما شاءت ، فليس لها أحد ينهاها » .

قال أبو قيس الأودى : « رأيت الناس ثلاث طبقات : أهل دين يحبون علياً ، وأهل دنيا يحبون معاوية ، وخوارج » .

كان يحي بن معين يقول : من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، وعرف لعلى سابقته وفضله ، فهو صاحب سنة ، ومن قال : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، وعرف لعثمان سابقته وفضله ، فهو صاحب سنة . يقول هرون بن إسحق : فذكرت له هؤلاء الذين يقولون : أبو بكر وعمر وعثمان ثم يسكتون ، فتكلم فيهم بكلام غليظ .

روت زينب بنت كعب بن عجرة قالت : اشتكى الناس علياً رضى الله عنه ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً ، فسمعته يقول : « أيها الناس : لا تشكوا علياً ، فوالله إنه لأخشى فى ذات الله من أن يشتكى به [ذكره ابن إسحاق] (١) .

وأخيراً وليس آخراً يقول الإمام على فى معاوية رضى الله عنه : « لا تكرهوا إمرة معاوية ، فإن إمرته سلم وعافية ، فلو قد مات رأيتم الرءوس تندر عن أهلها كأنها الحنظل : وعداً كان مفعولاً » .

---

(١) راجع الاستيعاب لابن عبدالبر فى ترجمة زينب بنت كعب بن عجرة .

شيء من كلامه ورُدُودِهِ

روى ابن عبد البر فى كتابه « جامع بيان العلم وفضله » قال :

حدثنى أحمد بن فتح قال : حدثنا حمزة بن محمد قال : حدثنا إسحق ابن إبراهيم ، قال : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمدبن ثور عن معمر عن وهب بن عبد الله عن أبى الطفيل قال : « شهدت علياً — رضى الله عنه — وهو يخطب ويقول : «سلونى ، فوالله لا تسألونى عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلاحدثتكم به ، وسلونىعن كتاب الله ، فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار ، أم بسهل نزلت أم بجبل » .

فقال ابن الكواء — وأنا بينه وبين على — ما والذاريات ذرواً. فالحاملات وقراً . فالجاريات يسراً . فالمقسمات أمرا ؟ .

فقال : ويلك : سل تفقهاًولاتسل تعنتاً : الذاريات ذرواً : الرياح ، فالحاملات وقراً : السحاب ، والجاريات يسراً : السفن ، فالمقسمات أمراً : الملائكة .

قال : أفرأيت السواد الذى فى القمر ؟

قال : أعمى سأل عن عمياء : أماسمعت قول الله عز وجل — وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل — فمحوه السواد الذى فيه .

قال : أفرأيت ذا القرنين ، أنبياً كان أو ملكا ؟

قال : لا واحد منهما ، ولكنه كان عبداً صالحاً ، أحب الله فأحبه الله . وناصح الله فنصحه الله ، ودعا قومه إلى الهدى فضربوه على قرنه ، ثم دعاهم إلى الهدى فضربوه على قرنه الآخر ، ولم يكن له قرنان كقرنى الثور .

قال : أفرأيت هذا القوس ، ما هو ؟

قال : هى علامة بين نوح وبين ربه ، وأمان من الغرق .

قال : أفرأيت البيت المعمور ، ما هو ؟

قال : الصراح ، فوق سبع سموات ، تحت العرش ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة .

قال : فمن «الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار» ؟

قال : هما الأفجران من قريش ، كفيتهم يوم بدر .

قال : فمن «الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً» ؟

قال : كان أهل حروراء منهم» .

وروى عنه رضى الله عنه أنه قيل له : يا أمير المؤمنين : إن ها هنا قوماً يقولون: إن الله لا يعلم ما يكون حتى يكون ؟

فقال : ثكلتهم أمهاتهم ، من أين قالوا ذلك ؟

قيل : يتأولون القرآن فى قوله عز وجل «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم» .

فقال على رضى الله عنه : من لم يعلم هلك ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس : تعلّموا العلم واعملوا به ، ومن أشكل عليه شيء من كتاب الله فليسألنى عنه . إنه بلغنى أن قوماً يقولون إن الله لا يعلم ما يكون حتى يكون ، لقوله عز وجل : ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم » الآية ، وإنما قوله عز وجل « حتى نعلم » يقول : حتى نرى من كتب عليه الجهاد والصبر إن جاهد وصبر على ما نابه وأتاه مما قضيت عليه .

وكان يقول : ألا رجل يسأل فينتفع وينفع جلساءه .

وسأله ابن الكواء أيضاً عن الأختين المملوكتين ، وعن بنت الأخ والأخت من الرضاعة ؟

فقال : إنك الذهّاب فى التيه ؟ سل عما ينفعك أو يعنيك .

قال : إنما نسأل عما لا نعلم .

قال : فقال : ابنة الأخ أو الأخت من الرضاعة : أردتُ رسول الله ﷺ على بنت حمزة ، فقال : هى ابنة أخى من الرضاعة ، وقال فى الأختين المملوكتين : أحلتهما آية وحرمتهما آية ، لا آمر ولا أنهى ، ولا أحل ولا أحرم ، ولا أفعله أنا ولا أهل بيتى .

وهكذا هو بحر زاخر لا ساحل له ، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال :

« أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب » .

[رواه العقيلي ، وابن عدي والطبراني والحاكم عن ابن عباس ، وابن عدي والحاكم عن جابر] .

« ذكر ابن إسحق أن بعض أهل العلم حدثه أن رسول الله ﷺ إنما سمى علياً أبا تراب : أنه كان إذا عتب على فاطمة فى شىء لم يكلمها ، ولم يقل لها شيئاً تكرهه ، إلا أنه يأخذ شيئاً من تراب فيضعه على رأسه .

قال : فكان رسول الله ﷺ إذا رأى على رأسه التراب عرف أنه عاتبٌ على فاطمة » . اه بلفظه من سيرة ابن هشام .

روى الليث عن على رضى الله عنه وكرم الله وجهه قال : لما نزل قوله تعالى — من يعمل سوءاً يجز به — خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « لقد أنزلت عليّ آية هى خير لأمتى من الدنيا وما فيها ، ثم قرأها ، ثم قال : إن العبد إذ أذنب ذنباً فتصيبه شدة أو بلاء فى الدنيا ، فإن الله تعالى أكرم من أن يعذبه ثانياً » .

ورد أنه كان فى بيت على بن أبى طالب رضى الله عنه خمس من الأنفس : على ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، والحارث ، لم يَذُوقوا فى ليلتهم طعاماً ، فباتوا ليلتهم على الطوى .

وما أن أصبحوا حتى دَفعتْ فاطمةُ رِداءها إلى عليّ ليبيعه ويقتاتوا بثمنه ، فباعه على رضى الله عنه بستةِ دراهم ، وبينما هو فى

الطريق إلى بيته لقى جماعة كاد الجوع يقتلهم ، فآثرهم بالستة دراهم على نفسه وزوجته وأولادِه ، وأعطاهم إياها ، وما ان تجاوزهم بخطوات حتى أقبل عليه رجل فى يده ناقة ، فألقى عليه السلام، ثم قال :

يا أبا الحسن ألك فى شراء هذه الناقة ؟ قال علىّ : أجل لو كان معى ثمنها . قال الرجلُ : خذها نسيئةً وأدِّ ثمنها حين يفتح الله عليك ، قال على : بكم تبيعُها ؟ قال بمائة درهم ، فاشتراها على وأخذ بزمامها ، وذهب ، فقابلهُ رجلٌ آخر ، فقال له : أتبيعُ هذه الناقة يا أبا الحسن ؟ قال : نعم ، قال بكم اشتريتها ؟ قال : بمائة درهم . قال : أنا اشتريتها منك بربح ستين درهماً . فباعها له بعد أن دفع الرجلُ إليه المائة والستين درهماً ، ثم ذهب بعد ذلك قاصداً بيته فلقيهُ الرجلُ الأولُ فقال لعلى : أين الناقةُ يا أبا الحسن ؟ قال : قد بعتها ، قال : فأعطنى حقى إذاً ، فدفع إليه المائة ، وبقى معه الستون .

ثم هرول إلى بيته ، وصب الدراهم فى حجر السيدة فاطمة الزهراء وقص عليها القصة قائلا : تاجرتُ مع الله بستةِ دراهم فأعطانى ستين ؛ لكل درهم عشرة دراهم — قالت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها : لا نأكل من هذا المال حتى نعرض الأمر على رسول الله ﷺ ؛ فأقبلا على رسول الله ﷺ وأخبراه بالقصة ، فابتسم صلوات الله وسلامه عليه ، ثم قال : « أبشر يا على : تاجرت مع الله فأربحك ، فالبائع جبريل ، والمشترى ميكائيل ، والناقة مركب فاطمة فى الجنة ، ثم قال : يا علىُّ أعطيتَ ثلاثاً لم يعطَها غيركَ : لك زوجةٌ سيدة

نساء أهل الجنة ، وولدان سيدا شباب أهل الجنة ، ولك صهر هو سيد المرسلين ، فاشكر الله على ما أعطاك واحمد الله فيما أولاك » .

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة　　فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

وقد أشاع أقوام — منهم الرافضة وغلاة الشيعة ومن والاهم وأخذ عنهم — أن السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ حلفت ألا تكلم أبا بكر بعد أن منعها ميراثها من أبيها [أرض من فدك وبنى النضير وهو الخمس الذى فرض الله له] بغضاً لأبى بكر وكرهاً له .

وحاشاها من ذلك ، وهى ذات القلب الذى لا يعرف الكره والبغض إلا لمن كره الله وكرهه الله ، وأبغض الله وأبغضه الله ، فكيف وهى تعرف أن أبا بكر حِب أبيها وأخص الناس عنده !! ؟ ويل لهم مما يفترون .

والحق أنه لما طلبت الميراث قال لها أبو بكر رضى الله عنه : إن رسول الله ﷺ قال : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، مَاتركناه صدقة » .

فلذلك فقط منعها أبو بكر تنفيذاً لقول أبيها — ﷺ فحسب — لا لسبب آخر .

ولذلك فسر كثير من العلماء قولها : « والله لا أكلمك أبداً » أى فى هذا الشأن ، فأنت صادق عندنا .

وذكر صاحب كتاب « الخمس » أبو حفص بن شاهين عن الشعبى : أن أبا بكر قال لفاطمة بنت رسول الله ﷺ :

يا بنت رسول الله ﷺ : ماخير عيشة أعيشها وأنتِ عليّ ساخطة ، فإن كان عندك من رسول الله ﷺ فى ذلك عهد ، فأنت الصادقة المصدقة المأمونة على ما قلتِ ، قال : فما قام حتى رضيتْ ورضى .

وروى البيهقى عن الشعبى قال : لما مرضت فاطمة رضى الله عنها : أتاها أبو بكر رضى الله عنه ، فاستأذن عليها ، فقالت لعلى : أتحب أن آذن له ؟ فقال : نعم ، فأذنت له ، فدخل عليها يترضّاها فقال :

« والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله — ﷺ — ومرضاتكم أهل البيت ، ثم ترضاها حتى رضيت . [وهذا قوى جداً] (١) .

قال محمد [الباقر] رضى الله عنه وعن آبائه المكرمين لما سئل عن تحلية السيوف : حلّى أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — سيفه .

. قال عروة بن عبد الله ، فقلت : تقول : الصدّيق ! ؟ قال : فوثب وثبة واستقبل القبلة ، ثم قال : نعم الصدّيق ، فمن لم يقل الصديق ، فلا صدق الله له قولاً فى الدنيا والآخرة .

والحق أنى لا أجد لمثل هؤلاء الكَذَبة مثلا يحيط بهم تماماً إلا قول الشاعر القديم :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكتْ سُبْلَ المكارم ضلّتِ
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى خلالَ المخازى عن تميم تجلّتِ

---

(١) من عمدة القارى : شرح صحيح البخارى للإمام العينى فى « باب فرض الخمس » .

فكذلك هم : لا يطرقون سبل المكارم ، ولا يتركون خلال المخازى ما دار الفلك ، وما كان ليل ونهار .

وقال فى السيرة الحلبية : روى ابن سعد أن أبا بكر رضى الله عنه جاء إلى بيت على — لما مرضت فاطمة — فاستأذن عليها ، فقال على كرم الله وجهه : هذا أبو بكر على الباب يستأذن ، فإن شئت أن تأذنى له فأذنى ، فقالت : وذاك أحب إليك ؟؟ قال : نعم ، فأذنت له — رضى الله عنه — فدخل واعتذر إليها ، فرضيت عنه ؛ ولما توفيت صلى رضى الله عنه عليها .

ومن المعروف أن السيدة فاطمة — رضى الله عنها وأرضاها — بعد موت أبيها — ﷺ — لم تلبث أكثر من ستة أشهر ، وأنها ماتت من الحزن على فراقه وفقده ، ويحق لها ذلك : إذ من له أب كأبيها ؟ ومن يصلح لملاطفتها والحنوّ عليها بعده ﷺ ؟؟... لا أحد .

يتبين لنا هذا من رثائها لأبيها بعد أن قبَضت قبضة من تراب القبر الشريف ولثمتها وقالت :

ماذا على من شم تربة أحمد ألاّ يشم مدى الزمان غواليا
صُبت علىّ مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

* * *

علی بن أبی طالب وأبو بكر رضی الله عنهما

ظهرت الفتن والفرق فی صفوف الإســـلام بوفاة الرسول عليه الصلاة والسلام .

وقد عمل أعداء الإسلام والموتورون الذين غلبهم الإسلام ولم يغلب على قلوبهم ـــ على الوقيعة بين كبار الصحابة مشعلين نار الفتنة بالمفاضلة بين الصحابة .

وكانت أكبر هذه الفتن المفاضلة بين أبی بكر وعلی رضی الله عنهما والغض من قدر أحدهما لحساب الآخر . وتأويل القرآن والحديث تأويلا يوافق الأهواء ، وتفسير الأحداث التاريخية وما قد يكون بين المرء وأخيه من خلاف أو معاتبة بأنه بغض وحقد لأحدهم على الآخر .

والحق أن كلا الصاحبين فاضل وكلاً جدير بالخلافة ولكن لله حكم خافية وظاهرة قدّمت أبا بكر على عمر وقدمت عمر على عثمان وقدمت عثمان على علیّ فی خلافة رسول الله ﷺ .

ولقد درج الغلاة من الشيعة على الطعن فی أبی بكر وفی جدارته بالخلافة والقول بأنه اغتصبها من الإمام علیّ فسب قومٌ عليا على المنابر وسب قوم عثمان ، ونفر سبَّ أبا بكر وعمر ، ومعاذ الله أن يكون شیء مما يقولون .

من المعروف أن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه وأرضاه له مكانته من الحبيب المصطفى ﷺ إذ هو : أول من أسلم من الرجال ، وصاحبه فى الهجرة والغار ، أنفق ماله كله على الدعوة ، وقال فيه رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » . وتزوج رسول الله ﷺ إبنته : الصديقة بنت الصديق . وقال فيه أيضاً — فيما رواه مسلم فى باب فضائل الصحابة — عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال لى رسول الله ﷺ فى مرضه : ادعى لى أبا بكر أباكِ ، وأخاكِ حتى أكتب كتاباً ، فإنى أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل « أنا أولى » ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » .

قال ابن حزم فى « نقط العروس » : اختلف الناس فى أبى بكر ، والذى أدين الله به أنه ولى الخلافة بعهد من رسول الله ﷺ ونص عليه ؛ لإجماع أهل الإسلام على تسميته خليفة رسول الله ﷺ ، ولم يسم أحد بهذا الإسم غيره .

يقول الامام الكتانى — رضى الله عنه — فى كتابه « التراتيب الادارية » ص ٣ ج ١ ما لفظه :

« وقد استنبط جماعة من العلماء خلافة أبى بكر من القرآن : فأخرج البيهقى عن الحسن البصرى فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه ، فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه[1] » .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٤

قال : هو والله أبو بكر وأصحابه لما ارتدّت العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردوهم إلى الإسلام .

وأخرج ابن أبى حاتم عن جبير فى قوله تعالى : « قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد (١) قال : هم بنو حنيفة .

قال ابن أبى حاتم وابن قتيبة : هذه الآية حجة على خلافة الصديق، لأنه الذى دعا إلى قتالهم .

قال الشيخ أبو الحسن الأشعرى : سمعت أبا العباس بن شريح يقول: خلافة الصديق فى القرآن فى هذه الآية ، قال : لأن أهل العلم أجمعوا على أنه لم يكن بعد نزولها قتال دُعوا إليه إلا دعاء أبى بكر لهم وللناس إلى قتال أهل الردة ، ومن منع الزكاة ، قال : فدل ذلك على وجوب خلافة أبى بكر وافتراض طاعته إذ أخبر الله أن المتولى عن ذلك يعذّب عذاباً أليما .

قال الحافظ ابن كثير : ومن فسر القوم بأنهم فارس والروم ، فالصديق هو الذى جهز الجيش إليهم ، وتمام أمرهم كان على يد عمر وعثمان ، وهما فرعا الصديق .

---

(١) سورة الفتح ، وتمام الآية « ... تقاتلونهم أو يسلمون ، فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً ، وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليما » .

وقال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض (١) » قال ابن كثير : هذه الآية منطبقة على خلافة أبى بكر .

وأخرج البيهقى عن ابن الزعفرانى قال : سمعت الشافعى يقول : أجمع الناس على خلافة أبى بكر الصديق ، وذلك أنه اضطر الناس بعد رسول الله ﷺ ، فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبى بكر ، فولوه رقابهم (٢) .

وفى « الفروق » لأبى العباس القرافى : قال العلماء : إن قوله تعالى : « وإنه لذكر لك ولقومك » (٣) إنه الخلافة ، وإنه ﷺ كان يطوف على القبائل فى أول أمره لينصروه ، فيقولون له : ويكون لنا الأمر من بعدك ؟ فيقول ﷺ : إنى قد مُنعت من ذلك .

وإنه قد أنزل عليه : « وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » فلم يكن للأنصار فى هذا الشأن شىء » .

وقد سئل بعض علماء القيروان : من كان مستحقا للخلافة بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال : سبحان الله ، إنّا بالقيروان نعلم من هو أصلح منا بالقضاء ، ومن هو أصلح منا للفتيا ، ومن هو أصلح منا للإمامة :

---

(١) سورة النور ، الآية : ٥٥

(٢) ليس من المعقول أن يستنبط علماء الأمة من الآيات هذه الاستنباطات ، وتخفى على سيدنا على كرم الله وجهه ، وهو باب مدينة العلم .

(٣) سورة الزخرف الآية : ٤٤

أيخفى ذلك عن أصحاب رسول الله ﷺ : إنما يسألُ عن هذه المسائل أهل العراق ، وصدق رضى الله عنه فيما قاله[1] اهـ بحروفه ...

وقال أيضاً :

وأخرج الحاكم عن ابن المسيب قال : كان أبو بكر من النبى ﷺ مكان الوزير ، فكان يشاوره فى جميع أموره ، وكان ثانيه فى الإسلام[2] ، وثانيه فى الغار ، وثانيه فى العريش يوم بدر ، وثانية فى القبر ، ولم يكن رسول الله ﷺ يقدم عليه أحداً .

* * *

ليس لنا أن نفاضل بين أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا أن نذكر أحد أمنهم إلاّ بما يحب الله ورسوله ، ولا أن نجرى وراء كل ناعق ، ولا أن نخوض فى الفتن التى برأنا الله منها وعافانا بتأخير جيلنا عنها ، ولا أن يذهب عن أعين قلوبنا قولُ رسول الله ﷺ : « إن الله قد اختارنى واختار لى أصحابى ، فجعل لى منهم وزراء وأصهاراً وأنصاراً ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا »[3] وقوله ﷺ : « إن الله اختارنى واختار لى أصحابى وأصهارى ، وسيأتى قوم يسبونهم ويُبغضونهم ، فلا تجالسوهم ،

(١) المراد أن أصحاب رسول الله ﷺ لا يخفى عليهم أوْلوية أبى بكر بالخلافة ، ولا يبدر هذا السؤال السخيف إلا من أهل العراق ومن على شاكلتهم لأنهم محبون للجدل والفتنة .

(٢) من الرجال . (٣) رواه الطبرانى عن عويمر بن ساعدة .

ولاتشاربوهم ولا تؤاكلوهم ، ولا تناكحوهم»[١]. وليس لنا أن نأخذ التاريخ — خاصة ما يتعلق بالصدر الأول من الإسلام — إلا من الأثبات عن الأثبات ، وعلينا أن نُطّرح كلام مستشرقى اليهود والنصارى ومن والاهم من المسلمين وراء ظهورنا .

وأما متطرفوا الشيعة الذين اختلقوا هذه الفتنة فلقد ضلوا وأضلوا ، ونسوا أو تناسوا قوله تعالى : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » . وقوله ﷺ : أبو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر من الرأس »[٢] وقوله ﷺ : « أنا مدينة العلم وعلى بابها ؛ فمن أراد العلم فليأت الباب »[٣] كيف نفضل بعضهم على بعضهم بعد هذا ! ؟ فالملزم إذاً حد الأدب .

وبالجملة فقد قال الحافظ ابن حجر عن الإمام على فى كتابه « الإصابة فى تمييز الصحابة » : ومناقبه كثيرة ؛ حتى قال الإمام أحمد :

« لم ينقل لأحد من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ ما نقل لعلى » .

وقال الإمام أحمد أيضاً :

ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن على بن أبى طالب .

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن أنس .

(٢) رواه الأربعة عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه عن جده ، وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس والخطيب عن جابر .

(٣) رواه العقيلى ، وابن عدى ، والطبرانى والحاكم عن ابن عباس ، وابن عدى والحاكم عن جابر .

ترجمة الإمام النسائى

من هو الإمام النسائى :

بطبيعة الحال لا يحتاج الإمام النسائى إلى تعريف ، فإنه إذا ذكر عرف أنه صاحب السنن المشهورة « من الكتب الستة » التى لا يكاد يخلو منها بيت من بيوت أهل العلم ، ويكفيه فخراً أنه من أصح كتب السنّة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

ولكن لنذكر نبذة من تاريخه تبركا به رضى الله عنه .

اسمـــه :

هو الإمام المحدث : أحمد بن شعيب بن على بن سنان (بنونين) ابن بحر بن دينار النسائى (أبو عبد الرحمن) القاضى الحافظ صاحب السنن ، وأحد الأئمة المبرّزين والحفاظ الأعلام .

طوّف ، وسمع بخراسان ، والعراق، والجبال ، والحجاز ،ومصر، والشام ، والجزيرة من خلق مذكورين فى تراجمهم (فى كتب التراجم)

كنيته : أبو عبد الرحمن .

مولده :

ولد رضى الله عنه عام ٢١٥ خمس عشرة ومائتين ، وقيل أربع عشرة

ومائتين من الهجرة المشرفة ببلدة « نَسا » الواقعة على مسافة يومين من « سرخس » وخمسة أيام من « مرو » ويوم واحد من « أبيورد » وستة أيام أو سبعة من « نيسابور » .

وذكر الحافظ ابن حجر أنه ولد « بنيسابور » .

سبب تسمية بلده « نسا » :

يروى أنه لما وصل المسلمون خراسان اتجهوا إليها ، وتولى رجالها الذعرُ فهربوا وتركوا النساء والصبيان ، فأبى المسلمون أن يقاتلوا النساء ، وقالوا ننسىء فتحها إلى أن يعود رجالها ، ولذلك سميت « نسا » .

وبهذا الإسم تسمى أربع بلاد : الأولى بفارس ، والثانية بسرخس ، والثالثة بكرمان ، والرابعة بهمذان .

أسماء شيوخه :

منهم : قتيبة بن سعد ، وإسحق بن إبراهيم ، وأحمد بن عَبْدة ، وعمرو بن على ، وحميد بن مَسْعدَة ، وعمران بن موسى ، وعلى بن خشرم ، والحارث بن مسكين ، ومحمد بن عبد الأعلى ، ومحمد بن عبد الله بن يزيد ، وعلى بن حُجْر ، ومحمد بن سلمة ، ومحمد بن منصور ، ويعقوب بن إبراهيم ، وغيرهم .

قال الحاكم أبو عبد الله : حسده مشايخ فخرج إلى الرملة ، فسألوه عن فضائل معاوية فأمسك عنه ، فضربوه .

من تلاميذه :

الإمام أبو القاسم الطبرانى ، أبو على الحسين بن على [الحافظ النياموزى] الطبرانى ، وأحمد بن عمير بن جوصا ، ومحمد بن جعفر ابن قلاس ، وأبو القاسم بن أبى العقب ، وأبو الميمون بن راشد ، وأبو الحسن بن خذلم ، وأبو سعيد الأعرابى ، وأبو جعفر الطحاوى ، ومحمد بن هرون بن شعيب ، والعقيلى ، وابن يونس ، وابن عدى ، وابن السنى ، وخلق كثير .

مكانته رضى الله عنه :

قال أبو على النيسابورى : حدثنا النسائى الإمام المحدث بلا مدافعة .

وقال الحاكم : سمعت أبا الحسين الدارقطنى يقول غير مرة : أبو عبد الرحمن النسائى مقدم على كل من يذكر بعلم الحديث ، وبجرح الرواة وتعديلهم فى زمانه .

وقال أبو سعيد (صاحب تاريخ مصر) : إن النسائى كان إماماً ، ورعاً فى الحديث ثقة ثبتاً حافظا .

وقال الحافظ ابن منده : الذين خرّجوا الصحيح أربعة : البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى .

قدومه مصر :

قدم مصر وأقام بها مدة طويلة (كما ذكر صاحب تاريخ مصر) : وفيها ظهرت كنوز خبياته ، وانكشف القناع عن رموز خفياته ،

قدح العلماء زنده فأورى ، فانقادوا إليه،وحظى لديهم بالمنزلة السامية .

مؤلفاته :

أما مؤلفاته فشهورة ، منها : كتاب السنن ، وهذا الكتاب الذى قدمنا له . ثم إنه صنف فضائل الصحابة فى كتاب .

وفاته :

توفى رحمه الله ورضى عنه عام ٣٠٣ ثلاث وثلاثمائة هجرية ، وكان عمره ٨٨ أو ٨٩ ثمانية وثمانين أو تسعة وثمانين عاماً تقريباً .

غادر مصر عام ٣٠٢ اثنتين وثلاثمائة .

ذكروا أنه لما امتُحِنَ بدمشق طلب أن يحمل إلى مكة ، فحمل إليها ومات بها . إذ طلبوا منه تفضيل معاوية على علىّ ، فقال : ألا يرضى معاوية رأساً برأس حتى يفضل علياً . وجرت له ـ بسبب هذا ـ أحداث جسام ، وضربوه حتى أشرف على الموت . رحمه الله رحمة واسعة .

* * *

قال الحافظ ابن حجر فى كتاب « الخصائص » : وتتبع النسائى ماخص به [الإمام على] من دون الصحابة فجمع من ذلك كثيراً بأسانيد أكثرها جياد .

وقال فى فتح البارى ـ فى باب مناقب على رضى الله تعالى عنه :

وأوعب من جمع مناقبه من الأحاديث الجياد النسائى فى كتاب « الخصائص » .

وقال الحافظ ابن عبد البر فى « الاستيعاب » : « وفضائله لا يحيط بها كتاب » .

وقال الإمام الشنقيطى رحمه الله :

« والمراد بكتاب الخصائص : كتاب ألفه الحافظ النسائى صاحب « السنن » ، وسماه « خصائص على » رضى الله عنه .

وقد وقفنا على كتاب « الخصائص » مطبوعاً كله بالأسانيد إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم فى الأحاديث الواردة فى فضل على رضى الله تعالى عنه فعنينا بإخراجه بعد تبويبه وتنسيقه وضبطه وتخريج بعض حديثه .

* * *

رحم الله أبى وغفر له ولشيوخى : ربونى على حب النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل بيته حباً صادقاً صحيحاً ، وزرعوا فىّ هذا النبت الذكى الطيب ، فجزاهم الله عنى خيرا ؟

عبد الرحمن حسن محمود